تَنْوِيرُ الأَذْهَانِ بِخُطورَةِ الانسِيَاق وَرَاءَ فِكْرَةِ وحْدَةِ الأَدْيَان

كَتَبَهُ

أبو معاذ رائد آل طاهر

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

تَنْوِيرُ الأَذْهَانِ بِخُطورَةِ الانسِيَاق وَرَاءَ فِكْرَةِ وحْدَةِ الأَدْيَان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومَنْ سار على نهجه واقتفى أثر سنته إلى يوم الدين؛ أما بعد:

فإنَّ محاربة اليهود والنصارى للإسلام وأهله قديمة منذ أنْ أرسل الله تعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم واصطفاه من العرب وأنزل عليه القرآن ليكون مهيمناً على ما سبقه من كتب وناسخاً لها ومبيناً ما وقع فيها من تحريف.

وهذه الحرب قد تأخذ تارة طابعاً عسكرياً (غزو بلاد المسلمين واحتلالها) وقد تأخذ طابعاً فكرياً تارة أخرى (الغزو الثقافي)؛ وهذا أشدّ وأخطر من الأول، لأنَّ الأول غزو الأبدان والأموال، والثاني غزو القلوب والعقول، وموت القلوب وفسادها أعظم من موت الأبدان وهلاكها.

واليوم استطاعت الدعوة الصليبية بعد مرحلة طويلة من الغزو الفكري أن تجنِّد دعاة ومشايخ يدعون إلى فكرة خبيثة؛ ظاهرها: التسامح وحرية الفكر والتعايش السلمي بين الأديان السماوية، وحقيقتها: الانسلاخ من عقيدة الإسلام.

فقبل فترة من الزمان؛ دعا الغرب إلى محاربة الإرهاب والتشدد والتطرف والتعصب الديني وطالبوا العرب بتأييدهم ومساندتهم، وليس المقصود من ذلك محاربة التطرف والتعصب في عقيدة اليهود والنصارى؛ وإنما مقصودهم

تجميد عقيدة المسلمين التي تتعرض لعقائدهم الفاسدة، وهم لا زالوا في سعيهم في ذلك، فمرَّت هذه الفكرة على الشعوب بل وعلى قادة الشعوب من حكَّام وعلماء ودعاة ومثقفين إلا مَنْ تفطَّن لها وقليلٌ ما هم؛ وبخاصة أنَّ بعض جهلة المسلمين والشباب المتهور قد انساق إلى فكر التكفير والتفجير والتقتيل بفتاوى ممنْ لم ترسخ قدمه في العلم باسم الجهاد والكفر بالطاغوت، فتحرَّك الغرب لصد ومحاربة هذا الفكر بضرب البلدان واحتلالها والتضييق على المسلمين في عموم البلاد حتى عمَّ الفساد والعدوان والظلم، ثم دعا الغرب إلى محاربة الإرهاب ودعا إلى التعايش السلمي فوجد من أهل الإسلام مَنْ وافقه على ذلك ويدعو لهذه الفكرة في أوساط المسلمين.

وفكرة وحدة الأديان قائمة على توحيد الأديان الثلاثة (الإسلام والنصارى واليهود) في صف واحد باسم ملة إبراهيم؛ لأنَّ تعظيم نبي الله إبراهيم عليه السلام قاسم مشترك بين هذه الأديان، وكلٌّ منها يدَّعي أنَّ إبراهيم عليه السلام منهم، والله تعالى قد فصل القول في ذلك بقوله: ((مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ))، فيسعى دعاة وحدة الأديان إلى عقد مؤتمرات تبيِّن القواسم المشتركة بين هذه الأديان ومَنْ ثمَّ نبذ التعصب الديني المخالف لتلك القواسم، والدعوة إلى التعايش السلمي والإخاء الديني القائم على التسامح والاحترام والتوادد وعدم التعرض

للآخر فضلاً عن الجهر بتكفيره أو ضلاله، والسعي الجماعي لمحاربة الإلحاد ودعاة الفجور والفساد.

ومن أبرز الدعاة إلى وحدة الأديان من أهل الإسلام: دعاة الأحزاب السياسية التي تنظَّمت من أجل مناصب القيادة والحكم، ومن أبرز هذه الأحزاب: حزب الإخوان المسلمين؛ فهذا الحزب يدعو بقوة إلى فكرة وحدة الأديان، وهذا ظاهر على لسان دعاته الكبار مثل حسن البنا، ومحمد الغزالي، ويوسف القرضاوي وغيرهم، كما أنه ظاهر في خطاباتهم وتحركاتهم وعلاقاتهم.

ويظهر أنَّ هذه الدعوة -مع ظهور فسادها وضلالها- بدأت تنطلي على طوائف من أهل الإسلام وسلَّم لها الكثير من الحكَّام والدعاة والمثقفين كرد فعل على فكر التكفير وآثاره في البلاد؛ لذا كان لزاماً على دعاة الحق الذين لا يخشون في الله لومة لائم ولا كيد ظالم ولا سطوة حاكم أن يُبيِّنوا خطورة هذه الدعوة؛ وأنها تمثل ردَّة عن دين الإسلام بلا خلاف؛ ((لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ)).

وامتثالاً لأمر الله تعالى: ((وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً)) نكتفي بنقل فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء في بلاد الحرمين في عهد مفتي العصر سماحة الشيخ عبدالعزيز

بن باز رحمه الله تعالى والتي حذَّروا فيها من دعوة وحدة الأديان وبيَّنوا آثار هذه الدعوة وحكمها في الشرع.

وهذا نصُّ الفتوى:

[[بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله:

فإنَّ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات، وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات بشأن الدعوة إلى (وحدة الأديان): دين الإسلام، ودين اليهود، ودين النصارى، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى: بناء مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد؛ في رحاب الجامعات والمطارات والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد، إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات وندوات وجمعيات في الشرق والغرب. وبعد التأمل والدراسة فإنَّ اللجنة تقرر ما يلي:

أولاً: أنَّ من أصول الاعتقاد في الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة التي أجمع عليها المسلمون: أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يبقَ على وجه الأرض دين يُتعبَّد الله به سوى الإسلام، قال الله تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) {آل عمران:

٨٥}، والإسلام بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانيًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أنَّ كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) هو آخر كتب الله نزولاً وعهدًا برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل من التوراة والزبور والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها، فلم يبق كتاب منـزَّل يُتعبَّد الله به سوى (القرآن الكريم)؛ قال الله تعالى: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) {المائدة: ٤٨}.

ثالثًا: يجب الإيمان بأنَّ (التوراة والإنجيل) قد نُسِخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان كما جاء بيان ذلك في آياتٍ من كتاب الله الكريم منها قول الله تعالى: (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظّاً مما ذكِّروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم) {المائدة: ١٣}، وقوله جل وعلا: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) {البقرة: ٧٩}. وقوله سبحانه: (وإنَّ منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) {آل عمران: ٧٨}.

ولهذا؛ فما كان منها صحيحًا فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو محرَّف أو مبدَّل. وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه غضب حين رأى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفةً فيها شيء من التوراة، وقال عليه الصلاة والسلام: "أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟! ألم آتِ بها بيضاء نقية؟ لو كان أخي موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي" (رواه احمد والدارمي وغيرهما).

رابعًا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أنَّ نبينا ورسولنا محمدًا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال الله تعالى: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) {الأحزاب: ٤٠}، فلم يبق رسول يجب اتباعه سوى محمد صلى الله عليه وسلم، ولو كان أحد من أنبياء الله ورسله حيًا لما وسعه إلا اتباعه صلى الله عليه وسلم -وأنه لا يسع أتباعهم إلا ذلك- كما قال الله تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) {آل عمران: ٨١}. ونبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعًا لمحمد صلى الله عليه وسلم وحاكمًا بشريعته. وقال الله تعالى: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) {الأعراف: ١٥٧}.

كما إنَّ من أصول الاعتقاد في الإسلام: أنَّ بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عامة للناس أجمعين، قال الله تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون) {سبأ: ٢٨}، وقال سبحانه: (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) {الأعراف: ١٥٨} وغيرها من الآيات.

خامسًا: ومن أصول الإسلام أنه يجب اعتقاد كفر كل مَنْ لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم وتسميته كافرًا، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار كما قال تعالى: (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة) {البينة: ١}، وقال جل وعلا: (إنَّ الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) {البينة: ٦} وغيرها من الآيات، وثبت في صحيح مسلم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار"، ولهذا: فمن لم يكفِّر اليهود والنصارى فهو كافر؛ طردًا لقاعدة الشريعة: (مَنْ لم يكفِّر الكافر فهو كافر).

سادسًا: وأمام هذه الأصول الاعتقادية والحقائق الشرعية: فإنَّ الدعوة إلى: (وحدة الأديان) والتقارب بينها، وصهرها في قالب واحد، دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجرُّ أهله إلى ردة شاملة، ومصداق ذلك في قول الله سبحانه: (ولا يزالون

يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إنْ استطاعوا) {البقرة: ٢١٧}، وقوله جل وعلا: (ودُّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) {النساء: ٨٩}.

سابعًا: وإنَّ من آثار هذه الدعوة الآثمة؛ إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء ولا براء، ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله، والله جلَّ وتقدَّس يقول: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) {التوبة: ٢٩}، ويقول جل وعلا: (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أنَّ الله مع المتقين) {التوبة:٣٦}.

ثامنًا: إنَّ الدعوة إلى (وحدة الأديان) إنْ صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد فترضى بالكفر بالله عز وجل، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان؛ وبناء على ذلك: فهي فكرة مرفوضة شرعًا، محرمة قطعًا، بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن وسنة وإجماع.

تاسعًا: وتأسيسًا على ما تقدَّم:

١ - فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولاً، الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها،

وتسليكها بين المسلمين، فضلاً عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والانتماء إلى محافلها.

٢ – لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردَين؛ فكيف مع القرآن الكريم في غلاف واحد؟!! فمن فعل ذلك أو دعا إليه فهو في ضلال بعيد، لما في ذلك من الجمع بين الحق (القرآن الكريم)، والمحرف أو الحق المنسوخ (التوراة والإنجيل).

٣ – كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة (بناء مسجد وكنيسة ومعبد) في مجمع واحد، لما في ذلك من الاعتراف بدين يعبد الله به غير دين الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية إلى أنَّ الأديان ثلاثة ولأهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قدم التساوي، وأنَّ الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان؛ ولا شك أنَّ إقرار ذلك أو اعتقاده أو الرضا به كفر وضلال؛ لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين، واعتراف بأنَّ تحريفات اليهود والنصارى من عند الله تعالى الله عن ذلك.

كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس (بيوت الله)!!، وأنَّ أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله!!؛ لأنها عبادة على غير دين الإسلام، والله تعالى يقول: (وَمَنْ يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) {آل عمران: ٨٥}، بل هي بيوت يُكفر فيها بالله؛ نعوذ بالله من الكفر وأهله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى (٢٢–

١٦٢): "ليست -أي: البيع والكنائس- بيوت الله، وإنما بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يُكفر فيها بالله، وإنْ كان قد يُذكر فيها؛ فالبيوت بمنزلة أهلها وأهلها كفار، فهي بيوت عبادة الكفار".

عاشرًا: ومما يجب أن يُعلم أنَّ دعوة الكفار بعامة وأهل الكتاب بخاصة إلى الإسلام واجبة على المسلمين بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة؛ ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان والمجادلة بالتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام؛ وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيَّ عن بينة قال الله تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإنْ تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) {آل عمران: ٦٤}. أما مجادلتهم واللقاء معهم ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض عُرَى الإسلام ومعاقد الإيمان فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون؛ والله المستعان على ما يصفون. قال تعالى: (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) {المائدة: ٤٩}.

وإنَّ اللجنة إذ تقرر ذلك وتبينه للناس؛ فإنها توصي المسلمين بعامة وأهل العلم بخاصة بتقوى الله تعالى ومراقبته، وحماية الإسلام، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال ودعاته، والكفر وأهله، وتحذرهم من هذه الدعوة الكفرية

الضالة (وحدة الأديان)، ومن الوقوع في حبائلها، ونعيذ بالله كل مسلم أن يكون سببًا في جلب هذه الضلالة إلى بلاد المسلمين وترويجها بينهم.

نسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاتـه العلى أنْ يعيذنــا جميعــًا من مضــلات الفـتن، وأنْ يجعلنا هـــداة مهتدين، حماة للإسلام على هدى ونور من ربنا حتى نلقاه وهو راضٍ عنا، وبالله التوفيــق، وصلى الله وسلم على نبينا محمـد وعلى آله وصحبه أجمعين]] انتهت الفتوى.

وأعضاء اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فيها هم:

رئيس اللجنة: سماحة الشيخ المفتي السابق (عبد العزيز بن عبد الله بن باز) رحمه الله تعالى

نائب الرئيس: سماحة الشيخ المفتي الحالي (عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ) حفظه الله تعالى.

عضو اللجنة: الشيخ د. (صالح بن فوزان الفوزان) حفظه الله تعالى

عضو اللجنة: الشيخ د. (بكر أبـو زيد) رحمه الله تعالى.

الفتوى برقم (١٩٤٠٢) وبتاريخ ٢٥-١- ١٤١٨هـ

وختاماً:

عباد الله؛ احذروا من هذه الدعوة (وحدة الأديان)، وإيَّاكم أن تقبلوها أو تنساقوا وراءها ولو زُيِّنت لكم بقوالب الحق تلبيساً وتحريفاً، فإنَّ أهل الأهواء

يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهو يعلمون، وقد ينطق أحدهم بكلمة حق ويريد بها باطلاً، أو قد يريد الحق ولم يتخذ سبيله جهلا أو تقصيراً.

لا تنظروا إلى بعض المفتونين بهذه الفكرة المضلَّة من الدعاة والمشايخ والمثقفين؛ ولو كان على معرفة من الدِّين أو يتكلَّم بلسان عليم؛ فربَّ إمام في الدِّين وهو ضال مضل، وربَّ عليم باللسان منافق بالقلب؛ يقول صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون))، ويقول: ((إنَّ أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان)).

فاحذروا من فتنة الزائغين ومن تأويلاتهم، وعليكم بفتاوى الراسخين وتوجيهاتهم؛ والله تعالى يقول: ((فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)).

نسأل الله تعالى أن يعصم أهل الإسلام من مضلات الفتن، وأن يُجنِّبهم مخططات الكفار وشبهات أهل الأهواء. وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أبو معاذ رائد آل طاهر

٨ رجب ١٤٢٩ هـ